مجلة جامعة الخليل للبحوث
المجلد (4)، العدد (2)، ص (391-416)، 2009



الصفحة الإلكترونية للمجلة
http://www.hebron.edu/journal

جدلية الخير والشر في النفس الإنسانية و الفكر التربوي الغربي والإسلامي-دراسة مقارنة

زياد بن علي الجرجاوي-كلية التربية-جامعة القدس المفتوحه-غزه-فلسطين*

الملخـــص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن آراء علماء الغرب والمسلمين في أصل الطبيعة الإنسانية أهي خيره أم شريرة والتعرف على مدى الانعكاسات التربوية لهذا الموضوع على فلسفة التربية والسياسات التعليميةالمتبعة. استخدم الباحث المنهج الاستنباطي ، والمنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك للإجابة عن تساؤلات الدراسة، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، كان اهمها أن دراسة جدلية الخير والشر عند علماء المسلمين، والغرب لها انعكاسات تربوية فى المناهج، وتوجيه الأهداف التربوية العامة، وبناءً على ذلك فقد أوصى الباحث بعدة توصيات كان من أهمها: ضرورة تعريف المربي المسلم بخبايا الطبيعة الإنسانية، وما فيها من دوافع وميول وانفعالات وعواطف.

Abstract :

The study aims to explore the points of view of Muslims and Western scholars and scientists regarding the origin of human nature, whether it is vicious or good and to explore and to get acquainted with the level of educational reflections of such subject on the philosophy and followed policies of education. The researcher used descriptive analytical and deductive methods so as to answer the questions of the study. The researcher reached a group of results. The most important one is the vicious and good study of Muslims and Western scholars and scientists has educational reflections.The researcher adopted some recommendations, the most important one is that the Muslim teacher and educator should be acquainted with the hidden aspects of human nature including passions, techniques, motives and emotions.

* بريد الباحث الإلكتروني : g_director@qou.edu

المقدمـــــــة:

خلق الله الإنسان وزوده بالعقل ليعي، ويتفهم الأمور، ويميز بين الشر، وبين الخير كما كرم الله هذا المخلوق، فأرسل له الرسل، وأنزل معهم الكتب، تحمل هدى السماء إليه من أجل إصلاحه ويعمِّر به الكون كله ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور رقم 55).

لكن الإنسان لم يتبع منهج الله في حياته وأعرض عنه قال تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (سورة طه أرقام الآيات 124، 125، 126).

واليوم يعيش الإنسان في عصر يوسم بعصر الخوف، والقلق تحكم فيه النوازع النفسية ويسيطر فيه القوي على الضعيف، عالم غدت لغة المادة، والهيمنة المبررة بالتقدمية عصراً تسيطر فيه الدول التي جعلت من العولمة منهج حياة، وفلسفة تسوس بها الشعوب رغم أنوف من تمنع أو رفض.

عالم يتشدق بالحرية، والسلم، والأمان ويتمسح بحقوق الإنسان، ويؤكد على الشرعية الدولية، يعتبر الديمقراطية ديناً قويماً ومذهباً رصيناً.

ولكن هذه المثل والقيم هي دعاية فقط لوسائل الإعلام يخدعون بها الشعوب المسكينة، ولا نجد لها تطبيقاً في الواقع، لأنها تخالف أهدافهم، وغاياتهم المادية، والنفعية التي أوقعت البشرية في انحرافات كثيرة ومشكلات لا حصر لها، فتفشت الجرائم من عنف وشذوذ وغير ذلك يحدث باسم (التمدن والتحضر، زنا ولواط، وسحاق ودعارة) وألوان شتى من الرذيلة ترتكب بدون رقيب أخلاقي، ولا ضمير اجتماعي، وسلوكيات مشينة قد يخجل الإنسان من ذكرها: قسوة، ومتاجرة بأعضاء الصغار، ومص للدماء، وترويج للمخدرات والمسكرات وقصص وروايات عن تصرفات لاعبي الميسر، والقمار، وحروب، ودمار، ومعارك تأكل الأخضر واليابس، وتقضي على مظاهر الحياة، ولا تبق، ولا تذر.

كل ما تقدم يجعل الإنسان في حيرة فيما يمارس في المجتمعات اليوم من سلوكيات، وتصرفات، ومدى ارتباطه بطبيعة الإنسان وسجيته، وأصالته الخيرية، أو الشريرية، أو مدى ارتباطها بفطرته أو سجيته جدل، وحوار مع النفس ومع الآخرين.

ومن الحقائق الثابتة عند المفكرين المعاصرين أن كل نظرية سياسية، أو اقتصادية، أو تربوية بل كل رأي في تنظيم هو جانب من حياة الفرد يكمن وراءه تصور معين للإنسان قد يعيه صاحب الرأي، أو النظرية، فيقول به أو قد يفترضه، ولا يشعر به.

ولذلك فإن النظر في الإنسان، ومحاولة الوصول إلى تصور له يطابق حقيقته، ينبغي أن يكون من الناحية المنطقية، وأن يسبق كل محاولة للنظر في المبادئ الاقتصادية، أو النظم السياسية، أو المناهج التربوية لأن معيارها هو مدى صلاحيتها للإنسان [شيخ إدريس 1982، 61]

وقد اهتم المربون قديماً، وحديثاً بمعرفة الطبيعة الإنسانية باعتمادها موضوع التربية، والباحث يحاول في دراسته هذه التعرف على ماهية الطبيعة الإنسانية عند المفكرين الغرب، والمسلمين؛ لمعرفة مبررات ما ينتج عنها من مواقف تشاؤمية أو خيرية، وانعكاسات ذلك على الميدان التربوي لعله يجلي بعض الغموض، والضبابية الحاصلة بين العلماء والمهتمين والجدلية الحاصلة بينهم فى مفهومي الخير والشر اللذين يؤرقا فكر التربويين والفلاسفة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

لا يخفى على إنسان ما يحدث على وجه البسيطة من قتل، ودمار، وفساد، وظلم، وجرائم تتناولها الفضائيات، ووسائط الاتصال الأخرى تجعل الإنسان في دوامة فكر، وقلق مما يسمع، ويشاهد ويحس، فنجده ينسجم لكل خير، ويكتئب لكل شر، ويتشاءم من كل مكروه.

إن ما تفرزه بعض الفلسفات التربوية من مبادئ يؤثر على التربية التي تعد قوة المستقبل الأساسية، دافعة تقدم الإنسانية، والمعنية بتشكيل الإنسان، والتأسيس على ماهيته الإنسانية، فمثلاً إن ما تفرضه الهيمنة الأمريكية على مسيرة العالم اليوم، وتوحش حركة العولمة التي تقوم بالإقصاء، والتهميش للآخر يبدو الحديث عنه لإيجاد أرضية مشتركة للحوار الإنساني الذي يفضي إلى شراكة خلاقة تقوم على احترام الإنسان، بما هو إنسان وينتج حواراً ثقافياً لا صراعاً حضارياً هداماً كما هو حاصل اليوم.

إن محاولة الحفر في الفكر الإسلامي المتمثل في استخلاص تعبير تربوي من آراء علماء المسلمين لهذه الرؤية الفلسفية (الطبيعة الإنسانية) قد تسهم في السعي المشترك لإقامة حوار بين الأمم والحضارات المختلفة، وتعزز التربية الأخلاقية، وتوضح التصور الإنساني، ليرد الفرد اعتباره، وماهيته المفقودة، وإيضاح نوايا وأطماع الفكر الغربي الأمريكي الذي يحاول إلصاق تهم الإرهاب، والتعصب [خضر، 2003، 14] ولقد مثل موضوع الطبيعة الإنسانية إشكاليات كثيرة للفلاسفة والمفكرين والتربويين، وذلك لتداخل، وتباين آرائهم فيه، وفقاً لمعتقداتهم، واتجاهاتهم وبناءً على ما تقدم ذكره فإن مشكلة الدراسة تتحدد بالتساؤل الرئيس الآتي:

ما أصل الطبيعة الإنسانية في الفكر الغربي والإسلامي؟

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

1. ما آراء بعض علماء الغرب في الطبيعة الإنسانية خيرة أم شريرة؟
2. ما آراء بعض علماء المسلمين في الطبيعة الإنسانية خيرة أم شريرة؟
3. ما الانعكاسات التربوية لدراسة أصالة الإنسان من وجهة نظر مفكري الغرب، والمسلمين في الميدان التربوي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول بحث الأمور الآتية:

أ- إبراز مفهوم الطبيعة الإنسانية عند بعض علماء الغرب، وعلماء المسلمين.

ب- تأتي هذه الدراسة تلبية لدعوى كثير من الباحثين، والعمل بتوصيات بعض الرسائل العلمية التي أوصت بضرورة دراسة الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي.

ج- الإسهام في تأصيل بعض الموضوعات التربوية عن طريق التنقيب في التراث التربوي الإسلامي من خلال الاطلاع على آراء المفكرين المسلمين في مجال فلسفة التربية الإسلامية.

د- تتناول هذه الدراسة موضوعاً يتعلق بالعقيدة الإسلامية التي لها أثر على تربية الإنسان المؤمن في هذه الحياة.

ه- تعد هذه الدراسة محاولة لاستنباط أهم الأفكار التربوية من المصادر العربية، والأجنبية لأن هذا الموضوع، وحسب علم الباحث لم يحظ بالدراسة الكافية، فهو لا يزال بكراً.

و- إن دراسة هذا الموضوع ماهية الطبيعة الإنسانية يساعد الباحثين التربويين على مخاطبة الذات

الإنسانية، وفهمهما كما يقول ابن الجوزي [ابن الجوزي – د – ت 96]

ز- تقدم هذه الدراسة مجموعة من التوصيات والمقترحات من الممكن الاستفادة منها في ميدان التربية، والتعليم في الوقت الحاضر.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على قضية من القضايا المهمة في ميدان التربية الإسلامية وهي قضية الفطرة [الطبيعة الإنسانية] عند علماء، الغرب ومفكريهم، وكذلك عند علماء، الإسلام ومفكريه في محاولة للوصول إلى أعماق الرؤى الفلسفية المشتركة، والمتباينة التي تتناول هذا المبدأ التربوي بهدف التوفيق، والجمع بين تلك الرؤى بحثاً عن الرأي الراجح، والخروج بمفهوم عام يستفاد منه في ميدان التربية بصفة عامة.

مصطلحات الدراسة:

أ- الطبيعة الإنسانية:

يقصد بالطبيعة الإنسانية في هذه الدراسة التي يعرفها الباحث اجرائياً بأنها الأصل الذي خلق عليه الإنسان، أو طبع عليه، أو جبلته التي فطره الله عليها خيراً كانت أم شراً.

ب- الفلسفة التربوية:

لغة: الحكمة، وتعني تحديد المبادئ، والمعتقدات، والفروض، والمسلمات التي نرغب أن تكون الأساس الذي نقيم عليه أهدافنا ومناهجنا ونعالج في ضوئه مشكلاتنا التعليمية، أو هي العقل في الدين [حاج توم، 1990، 341] ويعرفها الباحث اجرائياً بأنها: الحكمة التي على ضوئها نضع أهدافنا وبرامجنا لحل المشكلات التربوية الحاصلة في الميدان التربوي.

ج- الفطرة:

لها معان كثيرة عند علماء المسلمين منها: [الدين ومنها الإسلام ومنها ابتداء الخلقة منها السعادة والشقاوة ...إلخ]

والباحث يقصد منها في هذه الدراسة: الجبلة والطبع والخلقة السجية هذا ما ذهب إليه ابن الأثير، والنووي [الجعبري، 1979، ص63] بمعنى ما ركب في الإنسان وخلق عليه من الأخلاق التي لا يزايلها من الخير والشر.

د- النظرية التربوية:

مجموعة من المبادئ المنظمة المترابطة، والإرشادات الموجهة إلى المعنيين بالممارسة التربوية [الشهري، 1997، 26]

يعرفها الباحث إجرائياً بأنها: [مجموعة المبادئ، والقواعد، والمفاهيم التربوية المترابطة المستمدة من الكتاب، والسنة التي تعد الأساس الذي يقوم عليه البناء التربوي.

حدود الدراسة:

ركزت هذه الدراسة على الجوانب التالية:

تحاول هذه الدراسة التعرف على مفهوم الطبيعة الإنسانية أي الجبلة التي خلق الله الناس عليها من خلال ما ورد من آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وأقوال العلماء فيها، وكذلك الوقوف على آراء المفكرين الغرب وعلى آراء المفكرين المسلمين، وتصورهم لطبيعة الإنسان وفق ما ورد من علماء، ونظريات .

منهج الدراسة:

استخدم الباحث من مناهج البحث العلمي الآتي:

أ- المنهج الاستنباطي: وهو منهج يقوم الباحث فيه ببذل أقصى جهد عقلي، ونفسي عند دراسة النصوص

بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة [عبد الله وفودة، 1988، ص43].

ب- المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يعتمد على تجميع الحقائق، والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة [بدر، 1978، 222].

الدراسات السابقة:

1. دراسة حافظ محمد حيدر الجعبري (1979):

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الفطرة، والعقيدة الإسلامية، وقد بين الباحث المعنى اللغوي للفطرة، وذكر معنى العقيدة اللغوي، والاصطلاحي، وتلازم المعنيين، وعلاقتهما، وبين كذلك سبب الخلاف في المعنى المراد بالفطرة وقد أوضح رأي السلف فيها مع ذكر بقية الأقوال الواردة والاعتراضات الواردة، وناقش الباحث كل مذهب على حدة، ثم عقد موازنة بين مجموع تلك المذاهب، ثم ذكر الرأي المختار، كما ساق الباحث أدلة، وشواهد التي تثبت بها الفطرة، واختتم بحثه بمجموعة من النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته.

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

أن ما جاء به الرسل، وما يدركه العقل السليم.. يلتقيان عند نقطة واحدة لإيقاظ الفطرة وتنبيهها وتوجيهها، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (سورة القمر أرقام الآيات 17، 22، 32)

2. دراسة ظافر بن سعيد الشهري (1997).

هدفت هذه الدراسة إلى نقد نظرية روسو التربوية من منظور التربية الإسلامية استخدم الباحث مناهج البحث [الاستنباطي، الوصفي، والنقدي] ومن أهم المواضيع التي تناولتها الدراسة عرض ونقد لافتراضات (جان جاك روسو) التي تدور حول الإنسان، والمعرفة الإنسانية، والطبيعة البشرية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

أن غاية (روسو) إخراج إنسان طبيعي حر لا تكبله قيود مجتمعه الفاسد، وهي غاية بلوغ عالمية وربانية.

وكذلك اقتراب (روسو) كثيراً في نظرته لطبيعة الإنسان الخيرة، والمقومات المكونة للإنسان، ومكانته بين المخلوقات.

ومن أهم التوصيات التي أوصى بها الباحث: ضرورة الاهتمام بدراسة الأهداف التربوية والطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي، ونشرها بين دارسي التربية داخلياً وعالمياً.

3. دراسة الهلالي الشربيني الهلالي (2000)

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الاتجاه المحافظ، والاتجاه التقدمي في التربية، وجذورها في الفكر التربوي عند (جون ديوي) استخدم الباحث الأسلوب الفلسفي التحليلي، وقد توصل الباحث إلى نتائج أهمها:

أن ديوي يعتبر أن التربية عملية تشكيل للميول العقلية، والعاطفية تجاه الطبيعة والإنسان فالفلسفة يمكن أن تمثل النظرية العامة للتربية.

أما علاقة الجسم بالعقل، فيقول ديوي: إنه لمن الصعب أن نحدد بدرجة مناسبة النتائج السيئة التي تترتب على الثنائية الخاصة بالعقل والجسم، وكثيراً ما نبالغ فيها.

ويقترح ديوي نظرية في التربية مشتقة من (آراء روسو) مفادها أن الطفل يولد ولديه رغبة طبيعية على الفعل والتنفيذ والمعاناة، ويجب أن يلقى التشجيع على متابعة غايته.

4. دراسة محسن خضر(2003)

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على النزعة الإنسانية في الفكر التربوي الإسلامي عن أبي حيان التوحيدي استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج النقدي، وقد

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:
أن حقن النزعة الإنسانية في المدرسة العربية مسمى يستحق الانشغال به.. لتقديم تصور للبناء التربوي للنزعة الإنسانية على مستوى الرؤى، وعلى مستوى الممارسات، ومن خلال قراءة مشروع ابن حيان التوحيدي الاصطلاحي يتضح:
تدعيم الرؤية الثقافية المتسامحة إلى الآخر (وخاصة الغربي) وإبراز إمكانات الحوار بين الشمال والجنوب، وإدانة الممارسات التي تدعو إلى الشر كالاستعمار والهيمنة والعنصرية والعنف التي يمارسها مركز الشر على الأطراف من أجل التكامل مع البناء التربوي للنزعة الإنسان.
أن التوحيدي يؤمن بحق الإنسان المطلق، وهويته البشرية السامية، فلكل أمة فضائل، ورذائل ولكل قوم محاسن ومساوئ وبكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمال، وتفسير وهذا يقضي بأن الخيرات، والفضائل والشرور والنقائص مفضلة عند جميع الخلق.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تحدثت الدراسات السابقة عن الطبيعة الإنسانية بشكل مقتضب في بضع أسطر، ولكن الدراسة الحالية تنفرد في دراستها لموضوع الطبيعة الإنسانية من خلال آراء علماء الغرب، والمسلمين في هذا الموضوع هذا، وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة من خلال إطلاعه على الطريقة والإجراءات، ومنهج الدراسة، وكذلك استفاد منها عند إجابته عن تساؤلات الدراسة وتتفق هذه الدراسة مع الدراسات السابقة فى كونها تحدثت عن بعض متغيرات الدراسة خاصة فيما يتعلق بالفطرة والخير والشر وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تناولت الموضوع من عدة جوانبه وقد حاول الباحث المقارنة بين الفكر التربوي الغربي والإسلامي.

الإجابة عن تساؤلات الدراسة:

بعد استعراضنا للخلفية النظرية للدراسة تناولنا بعض الدراسات السابقة التي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة، وفي السطور الآتية: يجتهد الباحث في تقديم إجابة لكل تساؤل من تساؤلات الدراسة على حدة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من دراسته:

أ- الإجابة عن التساؤل الأول الذي ينص على: ما آراء بعض علماء الغرب في الطبيعة الإنسانية خيرة أم شريرة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل استطلع الباحث آراء بعض المفكرين والفلاسفة والعلماء الغرب من بعض المراجع، والدراسات التي هي مثار حقيقة هذا الموضوع، فوجد اختلافاً كثيراً فمنهم: من رأى أن الطبيعة الإنسانية واحدة في جميع الأزمنة، والعصور، وأن الإنسان هو الإنسان حيثما وجد، وأينما وجد فهو إما مجبول على الخير، وإما مجبول على الشر، ومنهم: من رأى أن اختلاف الناس في طبائعهم يعود إلى الأفراد أنفسهم من حيث [الاستعدادات، والقدرات والميول] ومنهم: من نظر إلى الخصائص التي تشكل في مجموعها هذا الكائن المتميز الذي نسميه الإنسان أو تركيبه فطبيعته الجسدية يجعله يميل إلى الحيوانية البهيمية تمهد لاقتراف الشر، وإشباع الشهوات بكل ما أوتي من قوة.

س. كيف يمكن إشباع حاجاته؟

يكون الإنسان شريراً يفعل ما يحلو له دون ضابط، ولا رقيب وطبيعته النفسية تشده إلى فعل الخير، وطاعتة القيم وتنفيذها، والمثل والأعراف والمبادئ التي تعود بالخير على المجتمع.

وعليه يكون الإنسان صادقاً أو مخلصاً.

ومنهم: من اعتبر العقل محركاً للخير، والشر،

وجعله الحاكم، والآمر والناهي للإنسان والمتحكم بطبيعته.

وآخرون يرون أن الوراثة هي المؤثر الوحيد في طبيعته لأنه يولد إما شريراً أو خيراً نتيجة للجينات الوراثية.

وآخرون يؤكدون على البيئة في تأثيرها على جبلة الإنسان الخيرة أو الشريرة.

ومنهم من زاوج بين الوراثة والبيئة في تأثيرها على طبيعته.

وبناءً على ما تقدم ذكره يمكن للباحث أن يفند آراء المفكرين الغربيين في الطبيعة الإنسانية على النحو الآتي:

1. رأي سقراط[1] والرواقيون[2]، وجان جاك روسو[3] وديكارت[4]، ومن رافقهم أن الناس جمعياً أخيار بالطبع يصيرون أشراراً بمجالسة أهل الشر، والميل إلى الشهوات الرديئة التي يندفع فيها المرء باذلاً جهده في بلوغها من كل وجه؛ غير ناظر إلى حسنها أو قبحها [بهنسي، 1987، 6]

أرى أنهم يريدون أن يقولوا أن الإنسان ذو طبيعة خيرة، وأن الشر إما طارئ عليه ومجاف لفطرته [إدريس، 1989م، 67].

وقد أشار [روسو] إلى وجوب الاهتمام بطبيعة الطفل، واحترامها وتجنيبها تدخل المجتمع في تربيته فها هو يقول [إن كل شيء يكون حسناً طالما كان في يد الطبيعة وكل شيء يصبح دماراً حين تمسه يد الإنسان] معنى هذا أن روسو يرى: أن الإنسان خير، وتقي وطاهر بطبيعته، ولكن المجتمع هو الذي غرس فيه خصائص [سرحان، 1978، 50]

إن أصحاب هذا الرأي يذهبون إلى أن الطبيعة الإنسانية تتكون من جسم قائم بذاته، وعقل أو روح قائم بذاته فديكارت (1650م) يرى: أن وظيفة الروح التوصل إلى المعرفة عن طريق التأمل العقلي أما الجانب العملي، فهو مرتبة دنيا تعتمد على الجسد في المقام الأول.

ووظيفة التربية هي تقوية الجانب الروحي ليتغلب الإنسان على شهواته الجسدية، وقد ترتب على هذا المفهوم إهمال الأعمال اليدوية، والفنون الميكانيكية، واحتقارها، وتخصيصها للطبقات السفلى من الناس، ونتج عن ذلك زيادة الهوة، أو الفجوة بين طبقات المجتمع [سرحان، 1978، 43] إن هذا الرأي لا يقبل كله لأن الناس مخلوقون من معادن الأرض، فمنهم نفيس، ومنهم رديء، ومنهم الطيب ومنهم الخبيث قال تعالى: [قل كل يعمل على شاكلته] (سورة الإسراء، آية رقم 84) وقال صلى الله عليه وسلم: [تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس] الحديث ضعيف ذكره أبوحاتم في العلل 403 / 1 وذكره العجلوني في كشف الخفاء 302 / 1 رواه ابن ماجة، والحاكم في المستدرك والبيهقي.

إن هذا الرأي قد جانب جزء المعنى عن حمل الأسفار للعراقى 42 / 2 الحقيقة وليس كلها فالله لم يخلق الناس على غرار واحد خيرين فقط؛ أو شريرين فقط؛ بل خلق النوعين معاً على انفراد أو امتزاج.

– الفروق الفطرية بين الناس ترجع الى تكوينهم البدنى.

وقال عليه الصلاة والسلام: [الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف] متفق عليه رواه الإمام البخاري 170 / 4، 95 / 6 مسند الإمام أحمد 485 / 2..

والأشرار يتفاوتون في الشر والخيرون يتفاوتون في الخير، وكل طائفة لها ميولها، وغاياتها ومقاصدها، وأهدافها، والمرء مع غيره إذا تماثلت أرواحهما، وتشابهت أخلاقهما، وتجانست ميولهما تعارفاً وتآلفاً وتحارباً وتعاوناً على جلب المنفع، لهما معاً.

فالخير يميل إلى الأخيار، والشرير يحب الأشرار،

ويميل إليهم؛ ولو كان الناس أخياراً بالطبع ما عُرِفَ الشر، وما امتلأت الدنيا بالأشرار، بل كانت مقاماً كريماً، وجنةً ونعيماً، وكان أهلها ملائكة الله يمشون على أرضه [البهنسي، 1987، 13].

والباحث يرى: أن هذا الرأي يجانب شيئاً من الحقيقة، فالناس ليس كلهم أخياراً بالطبع بل بعضهم وأغلبهم، أو جزء منهم، فالله لم يخلق الناس على نمط، أو غرار واحد خيرين فقط، أو شريرين فقط بل خلق النوعين، أو الصنفين معاً على انفراد أو امتزاج.

2. ذهب [أفلاطون(5)، فلوطين(6)، فرويد(7)، وداروين(8)، ورجال الكنيسة النصرانية، اليسوعيون(9) والينسيون(10)، ومن وافقهم]: إلى أن الناس مطبوعون على الشر؛ وقد ظنوا أن الإنسان يولد وارثاً للخطيئة التي اقترفها أبو البشر آدم عليه السلام كما يعتقدون، وبناءً عليه وحتى يكون الإنسان خيراً لا بد أن يسمو بروحه على جسده، والعمل على قمع شهواته، والتقشف والزهد في الدنيا، وعلى هذا المفهوم شاع في ميادين التعليم القمع، والعقاب [عفيفي، د.ت، 178] على اعتبار أنه الوسيلة المثلى لانتزاع الشر من النفس الإنسانية، وكبح نوازع الشر فيها حتى أصبح جلد الأطفال أمراً عادياً في التربية.

وأفلاطون يقول: أن الطبيعة الإنسانية تضم نفساً [عاقلة وأخرى غضبية، وأخرى شهوانية] [الهاشمي، 1984، 53].

أما فرويد فاعتبر: أن الشهوة، واللذة والجنس هي المحرك الأساس لدوافع الإنسان، ولكل أفعاله بما في ذلك حبه لوالديه وعبادته لربه، أما داروين فقد ذهب إلى: أن الإنسان هو نهاية سلسلة من نهاية سلسلة التطور الحيواني [إدريس، 1982، 67] فمجمل تصورات أصحاب هذا الرأي: أن الشر هو سجية الإنسان، وطبعه وخلقته، وديكارت الذي قسم النفس الإنسانية إلى غرائز؛ واعتبر: أن الإنسان تسيره غرائزه، وكما ورد كذلك عند فرويد لذا، فإن الناس يصيرون أخياراً بالتأديب والتعليم والتربية.

ورغم ذلك فمن الناس من هو غاية في الشر لا يصلح معه التأديب والتربية.

ومنهم من ليس في غاية الشر، فيمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب، والتربية والتوجيه، ومجالسة الأخيار، والعلماء، وأهل الخير من الصغر، وأصحاب هذا الرأي يقولون إن الإنسان يرتاح نفسياً حين يفعل الشر، ويشقى حين يفعل الخير، لأن راحته النفسية لا بد أن تكون منسجمة مع طبيعته، ولأن الطبع يغلب التطبع والتصنع وعليه فإن: ما يصدر عنه من الواضح يوافق وينسجم مع ما خلق وطبع عليه.

ومعنى هذا أن الإنسان حين يولد كما يذهب أصحاب هذا الرأي: يولد والشر لاصق بنفسه لصوق الورق بجسم الإنسان، وإن ترك من غير تهذيب بقي هذا الورق في نفسه، وازداد، وإذا تعهدناه بالتربية والتزكية والتأديب، انجلى عن نفسه هذا الشر الذي صاحبها منذ ميلادها [إدريس، 1982، 66] ومن المفكرين البارزين هنا: هوبز(11)، وبنتام(12) (1979، 1588) اللذان كانا يعتقدان أن الإنسان أناني بطبعه، ومغال في إيثاره لنفسه أما دوافع السلوك الإنساني عندهما فهي البحث عن المتعة والابتعاد عن الألم ويتعلق بالطبيعة الإنسانية فهي بنظرهما شريرة [حلمي ساري، وزميله، 2000، 14]

ويرى الباحث: أن من كانت جبلته أو خلقته الشر فإن التربية والوعظ والإرشاد والتوجيه والتحذير والإنذار تتطلب جهداً كبيراً في إقناعه و تعديل سلوكه المنحرف الى الطريق السوي قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم

غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة البقرة، رقم الآيتان 6،7).

وقال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء، ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ (سورة الإسراء، رقم الآية 82).

إن الذي فطرته شريرة لا يحوله عن طبعه، أو فطرته علم، ولا تعليم ولا تبشير، ولا تحذير، فليس له قلب حافظ، ولا فهم واع، فإذا سمع العلم لا ينفع به، ولا يحفظه لنفع غيره.

وقد رد عليهم جالينوس(13) قائلاً: إن كان كل الناس أشراراً بالطبع، وينتقلون إلى الخير بالتعليم فمن علمهم؟ فإن كان غيرهم علمهم فهو خير بطبيعته، وعلى ذلك ليس كل الناس أشراراً بالطبع وإن كان فيهم مع هذا الميل ميل آخر إلى الشر؛ إلا أن الأول غالب يكونون أخياراً بالطبع [البهنسي، 1987، 23]

3. إن أصحاب هذا الرأي ذهبوا إلى: حيادية الطبيعة الإنسانية، ومن أبرزهم [أرسطو(14)، جون لوك (15)1754 ،وهارتلي(16) 1757، وهيوم(17) 1776 وكانت(18) 1804 وسبنسر 1903 ومن وافقهم من أصحاب النظرية السلوكية في علم النفس جميعهم ذهبوا إلى: أن الطفل منذ ولادته إلى سن محدودة ليس له حياة أدبية فلا تنسب فطرته إلى الخير، ولا إلى الشر لأنه لا يفعل ما يفعل.

أي أن الطبيعة الإنسانية في وجهة نظرهم محايدة؛ فأرسطو يرى أن قضية التوجه إلى الخير ليست طبيعة في الإنسان إنما الطبيعي فيه وجود الاستعدادات، والقوى التي تساعده على اكتساب الفضيلة، وذلك بالتعاون مع الطبيعة عن طريق تكوين العادات الصالحة تنتعش قيم الحياة النبيلة في عقول الصغار منذ بواكير طفولتهم، كما أنه يرى أن تقوم التربية باستكمال نقائص الطبيعة والتربية في رأيه تهدف إلى النمو الجسمي، والنفسي للفرد [أحمد، 1986، 167].

وقد حاول كل من تشارلز هورتن كولي في مؤلفه الطبيعة البشرية، والنظام الاجتماعي بيان أصالة الإنسان المحايدة بين الشرية، والتشاؤمية، وبين أثر الجماعة الأولية والثانوية في طبيعته.

كما حاول وليام مكدوجال(19) في كتابه مقدمة لعلم النفس الاجتماعي الذي ظهر 1908 تحليل الميول الفطرية في الإنسان وكيفية انتظامها أثناء عملية تكوين الشخصية، وأهمية كل غريزة أو ميل فطري في الحياة الاجتماعية.

واعتبر ماكدوجال الغريزة هي قوام الطبيعة البشرية وهي المحرك الأول للنشاط النفسي والجسمي، وهي تمد الكائن بالطاقة، وتحدد له غاياته وقد حصر ماكدوجال الغرائز بثماني عشرة غريزة: لكل واحدة منها حاجة وانفعال ووظيفة مبيناً أن الإنسان محايداً في أصل خلقته وطبيعته [ساري وزميله، 2000، 17].

وبهذا المفهوم فإن التربية تحتل مكانة مهمة جداً إذ يمكن أن تنتج التربية أناساً صالحين أو سيئين [فينكس، 1987، 864] ويؤكد هذا الاتجاه كذلك زعماء علم النفس الحديث وخاصة بعد سيطرة المنهج التجريبي، وكذلك المدرسة السلوكية في علم النفس وصاحب هذه النظرية الحيادية لا ينكر أن للإنسان تركيباً جسدياً معيناً، وإنما هي خاصة بتركيبه النفسي أي تركيباً محايداً بالنسبة للخير والشر، وإنه يميل إلى هذا، أو ذاك بعد أن يولد إما بإرادته الخاصة، أو بسبب عوامل خارجية، ولكن هذا معناه أنه ليس في تركيبه النفسي ما يجعل الخير ملائماً له، أو الشر مناقضاً له.

وهذا معناه أن ما نسميه خيراً كالصدق والإخلاص والشكر وحب الحقيقة ليس خيراً بالنسبة لنفسه، وكذلك ما نسميه شراً ليس كذلك بالنسبة لها.

فكيف إذن يقنع نفسه بأن ذاك خير ينبغي أن يُفعل،

وهذا شر ينبغي أن يُترك؟ س . فما هو المعيار؟

إن الحياد بهذا المعنى يجعل النفس الإنسانية كالآلة، فالسكين مثلاً: لا يؤثر في فواكه قطعت بها أو أحشاء بريء مزقت بها، إنها معدة لأن تقطع فحسب، وكذلك النفس الإنسانية معدة لأن يفعل بها الخير أو يفعل الشر، ولا تأثير لأحد الفعلين عليها هي: س . فهل هذا هو الواقع؟

كلا: فإن نفس الإنسان يشقيها، ويعذبها الكذب والنفاق والبخل والاستكبار ويسعدها الصدق، والتواضع، والجود والإخلاص والكرم [إدريس، 1977، ص65]

إن أصحاب هذا الاتجاه ينكرون الجانب الروحي، ويزعمون أن الطبيعة الإنسانية مادية وأن الإنسان هو عبارة عن نظام كيميائي معقد والإحساس والوجدان والانفعالات والعواطف والتفكير ليست إلا تغيرات فسيولوجية معينة ذات طبيعة مادية، وهذا ما تبنته المدرسة السلوكية [بافلوف(20)، واطسن(21) وغيرهما] حيث ينظرون إلى الإنسان على أنه آلة ميكانيكية معقدة تحركه مثيرات فيزيقية تصدر عنها استجابات عظيمة ونموية مختلفة [بلاجح، 1973، 41]

ويرى الباحث: أن هذا الكلام لا يجانب الصحة كثيراً ، فالجبلة قد تكون خيرية، وقد تكون شرية وإن القائلين: بخلوها في الصغار ليس لرأيهم دليل لا في الشرع، ولا في العقل.

قال تعالى: حكاية عن قول الخضر لموسى عليهما السلام ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحما﴾ (سورة الكهف، رقم الآيتان 80،81).

وقال تعالى: ﴿قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا﴾(سورة نوح، رقم الآيتان 26،27). فالأطفال ليسوا على نمط واحد في أخلاقهم التي نلمسها في نشأتهم فيظهر في بعضهم الحياء، وآخرين منهم الجود أو البخل أو الرحمة أو القسوة أو الحسد أو الغبطة، ومنهم: السهل أو الخير، الشرير... إلخ.

فالناس كما يقول: جالينوس قليلون منهم مَنْ هو خير بالطبع، وليس ينتقل هؤلاء إلى الشر.

ومنهم من هو متوسط بين هذين، وهؤلاء ينتقلون بمصاحبة الأخيار ومواعظهم إلى الخير فالمصاحبة والرفقة والصداقة لها دور في تحديد طبيعة الإنسان، وقد ينتقلون بمخالطة أهل الش، وإغوائهم إلى الشر [البهنسي، 1987، 30] قال صلى الله عليه وسلم [مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ ...] صحيح البخاري 83 / 3. وهذا الرأي يوجب على المربي أن يكون حكيماً، وفي نفس الوقت مستعداً للاعتراف بمظاهر الشر، ومقاومتها كالثعبان، ورقيقاً كالحمامة مستعداً للترحيب بمثيرات الخير، وتشجيعها وفي كل ميل شرير يجب أن يحاول رؤيته واستخدام الخير الضمني، وأن يكون في كل خير متيقظاً للشر الضمني [فينكس، 1985، 862] وبعد هذه الإجابة للسؤال الأول يقدم الباحث للتساؤل الثاني:.

ب- إجابة التساؤل الثاني والذي ينص على ما آراء بعض علماء المسلمين في الطبيعة الإنسانية (الفطرة) [خيرة أم شريرة]؟

يتفق علماء المسلمون على أن الطبيعة الإنسانية خيرة وصالحة ولكنهم اختلفوا في: حدوث الخير والشر، والاستعداد لقبوله.

و التقارب في آراء علماء المسلمين مرده فى هذا الموضوع أن الإسلام يدعو أتباعه إلى الخير ويحثهم على فعله ويوجههم إلى تربية أبنائهم عليه كما يحثهم على نبذ الشر ودواعيه ومسبباته لأن فطرتهم أو سجيتهم تصقل أخلاقهم، وقيمهم، وأعرافهم،

وعاداتهم، وتقاليدهم المتأصلة على الخير الذي أنزله الله للبشرية جمعاء كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبناءً عليه فإن الباحث يبني ذلك في السطور الآتية:

ومكتفياً بذكر آراء بعض علماء المسلمين وفق ما تيسر له دون اختصار مخل، أو إطناب مضر.

1. يقول الراغب الأصفهاني: [الإنسان ميسر له أن يسلك طريق الخير وطريق الشر وإن كان من الناس من هو بالجملة إلى أحدهما أميل] قال تعالى [إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا] (سورة الإنسان ، رقم الآية 3) وقال تعالى [وهديناه النجدين] (سورة البلد، رقم الآية 10) أي بيتنا له طريقي الخير والشر .

فالإنسان مفطور على اكتساب الخير والشر، وإذا تعاطى أحدهما ألفه فإذا ألفه تعوده، وإذا تعوده تطبع به [بهنسي، 1987، 33] لذلك قالوا: في الأمثال الطبع يغلب التطبع أي لو أراد تركه لم يمكنه.

2. أما الغزالي المتوفي (505هـ) فقال في كتابه المنقذ من الضلال صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام سمعت الحديث المروي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث قال [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه] رواه البخاري، ومسلم في تصحيحيهما البخاري 118 / 2 ومسلم كتابه القدر22 فتحرك ظني إلى حقيقة الفطرة الأصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين [محمود، 1979، 81]. وينقل الجندي (1982) عن الغزالي قوله: أن الطفل يأتي إلى الحياة ونفسه صحيفة بيضاء خالية من كل نقش، وتصوير، وأن المربي أباً ومعلماً هو الذي ينقش على هذه الصحيفة ما يشاء من خير وشر والصبي قابل لكل ما ينقش عليه؛ ومائل إلى كل ما يمال به إليه] (167)

ومعنى هذا أن الغزالي يرى: أن كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه: أي بالاعتبار والألفة قد تكسب الرذائل، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى بالنشوء، والتربية والغذاء، وكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، فتكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم.

وقال: الصبي إذا أهمل في بدء نشوئه خرج غالباً رديء الأخلاق كذاباً حسوداً، نماماً، لحوحاً، ذا فضول، وضحك وكياد، ومجانة إنما يحفظ من ذلك بحسن التأديب: وكأن الغزالي يذهب: إلى أن الفطرة إلى الشر أقرب، وهو إليه أسرع، وبه أنسب [بهنسي، 1987م، 34]

3. ويتفق ابن خلدون المتوفي (809هـ) في كتابه المقدمة مع الغزالي: إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهيأة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خير أو شر [ابن خلدون، 1983، 85] ودليله على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه] رواه البخاري 118 / 2 والبيهقي فى مسنده 202 / 6 وبقدر ما ثبت لها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر، ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عادات الخير، وحصلت لها ملكته بعُد عن الشر، وصعب عليه طريقه، وكذلك صاحب الشر.

في التعليق على هذا الرأي أن أصحابه ينظرون إلى الاستعداد للخير والشر معاً ونقصهم عدم النظر إلى الطرفين: من طبعهم الله على الخير، ومن طبعهم على الشر، فقد بنوا رأيهم على سواد الناس، ولم يوسعوا دائرة نظرهم ليستوعبوا جميع الناس.

4. أما الشيخ محمد عبده فيرى أن: فطرة الإنسان (طبيعته) مستعدة للخير والشر معاً؛ إلا أنها إلى

الخير أقرب، ويردقف قائلاً: لا شك أن الميل إلى الخير مما أودع طبع الإنسان والإنسان يفعل الخير بطبعه، وتكون فيه لذاته، ولا يحتاج إلى تكلف في فعله للخير، وأما الشر فإنه يعرض للنفس بأسباب ليست من طبيعتها، ولا من مقتضى فطرتها، قال تعالى: [و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] (سورة الحشر، رقم الآية 9) وإذا كان الإنسان أقرب إلى الخير بحسب فطرته هذا لا يتفق مع كثير من النصوص القرآنية كقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (سورة يوسف، رقم الآية 103) وقوله: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ (سورة الأنعام، رقم الآية 116) إن في الإنسان استعداداً فطرياً للخير والشر واستعداده للشر أرجح وأغلب [بهنسي 1987م، 36، 37].

5. ويذهب علي الله عنه أن الناس في جبلتهم مختلفون كمعادن الأرض، فقطعة تجدها خصبة وأخرى تجدها سبخة وجدبة، وبينهما مراتب لا تحد، ولا تعد فقد يقول علي رضى الله عنه في اختلاف الناس [إنما فرق بين مبادي، وبينهم (أي عناصر تكوينهم) وذلك أنهم كانوا فِلْقَةٌ من سبخ أرض، وعذبها، وحزن تربة، وسهلها، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر اختلافهم يتفاوتون؛ ختام الرُّواء، ناقص العقل، وماد القامة قصير الهامة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة منكر الحليبة، وتائه القلب متفرق اللب، وطليق اللسان حديد الجنان.

6. ويقول: ابن الجوزي[(22)] إن الملائكة خلقت من نور لا ظلمة فيه، وخلقت الشياطين من ظلمة لا نور فيها، وركب البشر من الضدين، فظلام نفسه مقترن بنور عقله، بينهما حاجز لطيف لا تعلمه إلا بالمجاهدة [المهدي، 2002، ص248] وأوضح أن الكائن الإنساني مترابط الأجزاء يعمل كوحدة متكاملة، وبطريقة متداخلة، ومتشابكة فلكل عضو من أعضائه دوره الخاص، ووظيفته المكلف بأدائها، وأن طبيعة النفس البشرية هي طبيعة مزدوجة فيها الكثير من الشهوات، والدوافع والعواطف المتباينة، وقد قال فيها ابن الجوزي [رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً في المقدار حتى إنها مالت بالقلب والعقل والذهن] [ابن الجوزي – د– ت ص57].

7. وأبو حيان التوحيدي[(23)] يرى: أن هناك صراعاً بين الفطرة الإنسانية، والعرف الاجتماعي فلكل أمة فضائل ورذائل ولكل قوم محاسن ومساوئ.. والخيرات والفضائل والشرور والنقائص موزعة بين الأمم، ولا يعني هذا تساوي الأمم في أخلاق الكمال بل يوجد تفاوت، ويرى: أن الإنسان والحيوان يشتركان في حياة الحس والحركة، وأن الإنسان يتميز عنه بالعلم والبصيرة... [خضر، 2003، 23].

8. ما ذهب إليه مسكويه[(24)] : أن من الناس من هم خيرون بالطبع، فلا ينقلون إلى الشر، ومنهم من هم شريرون، فلا ينقلون إلى الخير، ومن الناس من هو وسط بين هؤلاء، وهؤلاء يميلون إلى إحدى الطائفتين من خلال المصاحبة، والصداقة والمرافقة [مسكويه، 1986، 52]

9. يرى الجاحظ[(25)] : أن الخير والشر لازمان في الحياة وأنه بدون الشر لا يمكن معرفة الإنسان للخير، ولذلك فوجوده ضرورة حتمية، إلا أن طبيعة الإنسان قابلة لتحويل والتعديل، وهذا التحويل أو التعديل هو مهمة المعلم وعلى ذلك يمكن القول بأنه [القزاز، 1995، 284] [إذا كانت الطبيعة الإنسانية ثابتة، وغير قابلة للتحوير يكون مصير الإنسان مقرراً مسبقاً، وإذن ليس هناك اختيار، وبالتبعية ليس هناك إرادة تمارس الاختيار، ومع انتفاء الإرادة تنتفي الحرية] [رضا، 1972، 71].

10. يرى الخطيب البغدادي[(26)] :أن الله خلق

الإنسان بطبيعة مزدوجة يشده جانب المادة منها إلى الأرض وإلى الحياة بمطالبها المادية بينهما يسمو به جانب الروح فيها إلى الآفاق والمثل العليا [معلوم، 1992، 128] وقد تنبه الخطيب إلى هذا الترابط والتكامل في طبيعة الإنسان [القرضاوي، 1978، 7] قال تعالى [و إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون× فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين] (سورة الحجر، رقم الآيتان 28، 29).

11. يقول ابن قيم الجوزية[27]: إن الشر حادث على النفس البشرية، وليس أصل خلقتها ويقسمه إلى نوعين عدم ووجود، وهو يرى أن صلاح النفس في العلم النافع والعمل الصالح وأنه لا يوجد نفوس هي شر محض، وإذا وجد في بعض النفوس نوع من الشر فإنه قد يزول منها، وتتخلص منه بأنواع المحن، والبلايا [حجاجي، 1988، 123] وفيما يحصل من الشر لهذه النفوس يقول: إنه [نوعان عدم ووجود، فالأول كعدم العلم والإيمان والصبر وإرادة الخيرات وعدم العمل بها... والثاني: وهو الوجودي كالعقائد الباطلة والإرادة الفاسدة فهو من لوازم ذلك العدم].

أنه متى عدم ذلك العلم النافع، والعمل الصالح من النفس، لزم أن يخلفه الشر والجهل وعوجهما، ولا بد لأن النفس لا بد لها من أحد الضدين فإذا لم تشتغل بالمفيد النافع الصالح اشتغلت بالضد الضار الفاسد] ابن القيم، د- ت – 125]

12. يقول ابن العربي[28] :الصحيح في هذه الخلاق الإلهية: إنها كلها في جبلة الإنسان فجميع ما يظهر من الإنسان من مكارم أخلاق، وسفاف أخلاق كلها في جبلته [مرسي، 1963، 278]

والباحث يرى : أن المتأمل لآراء علماء المسلمين في الطبيعة الإنسانية يجد أن آراءهم متقاربة جداً، وهذا يعود إلى أنهم يعتبرون أن هذا الموضوع جزء من الدين الذي فطر عليه الإنسان، وأنه الجبلة التي خلق الله الناس عليها، ولأنهم ينهلون من معين واحد هو كتاب الله وسنة رسوله.

أما التباين بينهم في هذا الموضوع فهو بسيط لا يكاد يذكر لأنه تباين، واختلاف كان في فهم النصوص الشرعية الواردة في ذلك، وهذا أمر طبيعي فالله وهب للبشر عقولاً ليجتهدوا بها وجعل في هذا الفهم تفاوتاً كل حسب رؤيته، ولكن ومردهم في النهاية إلى الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

من خلال ما سبق تبين أن لكل رأي مفهوماً معيناً عن الطبيعة الإنسانية، والمربي المسلم الذي يهتم بصياغة نظرية تربوية يقدم المبادئ الثابتة على الفرضيات لأنها ليست هي الأساس بل يستمد مبادئه من دينه الحنيف، ومن المهم أن نؤكد أن الآراء التي جاءت بها النظرية التربوية فيما يتعلق بطبيعة الإنسان ليست على درجة واحدة من الصحة، وأن كونها لا تعد وفرضيات بل معلومات مشوهة [عبد الله، 1990، 501].

ج- إجابة التساؤل الثالث والذي ينص على [ما الانعكاسات التربوية لدراسة أصالة الإنسان في الميدان التربوي من وجهة نظر مفكري الغرب، والمسلمين]

يولي المهتمون بأمور التربية، والتعليم على اختلاف فهمهم أهمية كبيرة لدراسة طبيعة الإنسان لأن الإنسان هو المقصود بالتربية، وإليه توجه وهو المركزية الأساسية في عملية التوجيه والإرشاد والتعليم والتدريب.

ويعود الاختلاف، والتباين في فهم الطبيعة الإنسانية بين المفكرين نتيجة لاختلاف العقائد التي تبنوها فانعكس ذلك على الفلسفات التربوية التي توجه الأهداف التربوية لكل قطر أو بلد وكان صدى ذلك واضحاً في وسائل تحقيق الأهداف التربوية والبرامج والمناهج وطرق التدريس كل حسب تطلعاته

واعتقاداته وآرائه واتجاهاته نحو الطبيعة الإنسانية وللأسف فإن الكثير من الدول الإسلامية استوردت الغث، والسمين، الصالح، والطالح من النظريات التربويه بحجة العصرنة، والحداثة، أو التغيير، أو الاطلاع دون تمحيص، أو تدقيق ما يصلح لنا، وما لا يصلح لأبنائنا، ودون النظر إلى ما يوافق وينسجم، أو لا ينسجم مع عقيدتنا الإسلامية، وديننا الحنيف فأفسدوا التعليم، والتربية بدعوى الانفتاح على كل جديد في الغرب بدون ضوابط متذرعين بأن من ينقلون عنهم متقدمين عنا، وأن حضارتهم ومدنيتهم مطلوبة لنا للتخلص من التخلف والرجعية كما يزعمون واعتبروا أن كل ما يأتي من الغرب كله خير وصالح لبيئتنا متمسكين (بعقدة الخواجة) رغم أن لدينا قيماً وعادات وتقاليد وأصولاً وأعرافاً وأخلاقاً حميدة وتربية إسلامية تغنينا عن فكرهم وقيمهم.

هذا وقد بذل المطبوعون على الشر الأموال الوفيرة لاستمالة الشعوب بطرق شتى، وقد حاولوا إغراءهم بكافة السبل؛ فشقوا الطرق، وشيدوا المدارس، وأنشؤوا المستشفيات وأقاموا الملاجئ وأسسوا الجمعيات، والمراكز، وغير ذلك يرمون من ورائها إلى أهداف خبيثة قصدها تدمير الإسلام، وإبادة أهله زاعمون أنهم يقصدون الخير للبشرية، والرقي، والرفاهية من وراء معوناتهم للشعوب الإسلامية قال تعالى [مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا علي شيء ذلك هو الضلال البعيد] (سورة إبراهيم، رقم الآية 18).

وقال تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً× الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ (سورة الكهف، رقم الآيتان 103، 104).

هذا وقد يبذل المطبوعون على الخير أوقاتاً كثيرة في نصح الناس، وإرشادهم، وتوجيههم وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وقد يبذلون أموالهم الزكوات، وصدقات للفقراء والمساكين وصلة الرحم والهبات، والأوقاف لوجه الله تعالى لا يبغون غير ذلك فهذه الأعمال الخيرة تعود عليهم بالخير في الدنيا، والآخرة، والمثوبة من الله قال تعالى ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ (سورة البقرة، رقم الآية 273).

فشتان بين الفريقين.

إ التربية في البلاد العربية والإسلامية كما لاحظها علماء الأمة الإسلامية أمثال بشير الثوم، وعبد الرحمن صالح، ومحمد خياط، وغيرهم تتبنى إحدى الفلسفات التربوية [مثالية، واقعية، وجودية، علمانية براجماتية، عولمة......إلخ] أو هي خليط من أفكار وضعية نابعة من مذاهب فكرية هدامة كالشيوعية، الرأسمالية أو القومية، ...إلخ

أي أن فلسفة التربية في البلاد العربية مختارة انتقائية [اكلتية] [حاج توم 1992، 41] وفي السطور الآتية يقدم الباحث باختصار نظرة تلك الفلسفات إلى الطبيعة الإنسانية، وانعكاساتها التربوية الى الخير أم الشر أقرب؟.

1. الفلسفة الوجودية من أبرز مؤسسيها جون بول سارتر(29):

يرى أن الإنسان غير خاضع، ولا يقبل الخضوع لأية أشياء خارجة عن ذاته، وأن الخير والشر يتوقف على اعتقاد الفرد في رغبته في شيء من الأشياء، وحريته هي أساس القيم... لا شيء آخر على الإطلاق يدفعني إلى اعتناقي لأية قيمة .

من الانعكاسات التربوية للوجودية:

هذه الفلسفة تعتبر أن الفرد في حالة توتر طوال حياته، ومن خلال تفاعله الذاتي مع الحياة يستطيع أن يخلص نفسه من الدمار.

2. الفلسفة الواقعية:

تركز على أن جوهر الطبيعة الإنسانية يتمثل في

خاصتي النطق والتفكير، ومن ثم فإن الإنسان يمكن استخدام تفكيره في الوصول إلى الحقائق التي تختلف باختلاف الأشخاص أو المكان أو الزمان، فالعقل والمعرفة هما: المرشدان لسلوك الإنسان.

من الانعكاسات التربوية للواقعية:

تهتم بالتربية العقلية على أساس أنها غاية في حدا ذاتها، ووسيلة لإدراك كل شيء، وتعليله عن طريق التدريب الصحيح على التفكير، وهنا تكمن الخطورة في أن العقل لا يستطيع الوصول إلى كل الحقائق عن طريق أدوات المعرفة كما أن الوحي يهدي العقل إلى الحقائق التي تستعصي عليه [أبو العينين، 1988، 266].

3. الفلسفة البراجماتية من أبرز زعمائها (جون دوي) [30]:

هي فلسفة نفعية نسبت إلى الولايات المتحدة، وتحمل سمة الحياة الأمريكية قياس الحق عندهم هو التجربة العملية النافعة لأكبر عدد ممكن من الناس، والإنسان هو الذي يضع مثله بنفسه، ويبني الحقيقة لنفسه، ولا شيء يبقى ثابتاً، فكل شيء متغير باستمرار. وتنظر إلى طبيعة الإنسان على أن لكل فرد طبيعته، وشخصيته الخاصة به، وأن الإنسان بذكائه العملي يستطيع أن يزيد من قوة نفسه، ويقلل من مواطن الضعف فيها...] (الجمالي،17،1967) من خلال تفاعل الإنسان مع مجتمعه وبيته يشتق قيمه ومثله.

ومن الانعكاسات التربوية للبراجماتية:

تؤمن البراجماتية بأهمية إعداد الشباب للحياة، وبتلك الثقافة التي يعيش فيها، ويجعل المذهب النفعي من (الحق والخير والجمال) وسائل ننتفع من ورائها، وهذا أمر في منتهى الخطورة لأن هذه القيم غير ثابتة أو مطلقة كالعقائد الدينية لا تقبل التجول والتغيير أي أن هذه الفلسفة لا ترى بأن هناك قيماً متغيرة، وأخرى ثابتة كما في التربية الإسلامية التي تنص على أهداف مطلقة ونهائية [جون ديوي1966، 166]

4. الفلسفة المثالية ومن زعمائها أفلاطون[31] 427 -347 ق.م:

ترى أن الإنسان يتكون من عقل وروح وجسم أو مادة ولكل منهما خصائصه ووظائفه وترى أن الإنسان خير بطبيعته وأن الشر لا يدخل في تركيبه وإنما هو يدفع إليه من خلال المجتمع وتنظيماته [النوري، 1976، 109].

الانعكاسات التربوية للمثالية:

القيم الحقة هي القيم المثالية التي يمكن أن يتعرف عليها الإنسان داخلياً، والتي يستطيع أن يتعرف عليها بالعقل ويجب على الإنسان أن يكون ،معقولاً ولا يصدر في أحكامه إلا عن حكمة تعقل] وعلى ذلك فإن النظرة المثالية إلى التربية على أساس الازدواجية؛ بينما التربية الإسلامية تنظر إلى الإنسان نظرة موحدة.

5. الفلسفة الاشتراكية أو الشيوعية من أبرز زعمائها ماركس[32] ، ولينين[33] ، انجلز[34]: وغيرهم.

تقرر الاشتراكية الصدارة المطلقة للمادة على الروح، ولا ترى في الروح، إلا فيضاً من تطور الطبيعة لذا فهي تهمل الجانب الروحي في كيان الإنسان.

الانعكاسات التربوية للاشتراكية:

تحتل التربية مركزاً أساسياً عند الشيوعيين، ولا تتم التربية بدون تغير من طبيعة الإنسان ليقبل هذا الوضع لأن التغيير في طبيعته يجعله إنساناً منتجاً لا مستهلكاً كما يرون [كاونتس، 1957، 438] فكارل ماركس مثلاً يقول: أنه ليس للإنسان طبيعة ثابتة، وما الإنسان إلا مجموعة علاقاته الاجتماعية المتغيرة، ولكنه في مكان آخر يتهم الرأسمالية بأنها شوهت حقيقة الإنسان، وجعلته شبيهاً بالحيوان، ولعله لم يفطن إلى أن هذا القول الأخير يناقض مع

الأول لأن القول الأول ينكر أن يكون للإنسان طبيعة ثابتة، والقول الثاني يفترض وجود هذه الطبيعة، وتعتبر طبيعة خيرة [ادريس، 19، 65]

6. فلسفة العولمة من أبرز زعمائها جورج مور[35]، بروباكر[36]:

يتردد مصطلح عولمة على الألسنة من أوائل السبعينيات بمفاهيم متعددة منها [القرية الكونية أو النموذج الكوني للحداثة، أو الكوكبية العالمية، الاستلاب الثقافي، القطبية، النظام العالمي الجديد، صراع الحضارات، تلاقي الثقافات.. إلخ] أسماء براقة بغايات بارزة، ومستترة بخدع مسامع الناس، فافتراضاتها فالظاهر منها، كما يدعون سهولة الحركة، والانتقال بين الدول على النطاق الكوني [أي عالم بلا حدود] والمستتر منها إصباغ الحياة المعاصرة بصبغة مادية طاغية تقلل من أهمية القيم في الحياة القومية للإنسان.

يتحكم فيها الشر والفساد، ويلعب فيها الطعام والجنس والمال، والامتيازات الاجتماعية الدور الأول والوحيد في كثير من الأحيان، حتى إن الكثير من المفكرين المعاصرين يحسون بنوع من التشاؤم حول مستقبل الإنسان ما لم يتبدل الوضع الإنساني نحو حياة خلفية أعمق وأغنى.

الانعكاسات التربوية للعولمة:

لقد أثرت العولمة على طبيعة الإنسان، وانعكس ذلك على كافة مناحي الحياة التي يعيش فيها فهذا جورج مور يعتبر أن كلمة خير خاطرة.

ينقل أحمد العلي (2002) عن أحد المربين قوله [لم تؤد العولمة إلى سد الفجوة بين الشمال والجنوب بل زادتها اتساعاً، ويكاد يجمع الخبراء على أن الجماهير في دول العالم تشعر بالضياع فكرياً وأخلاقياً وسياسياً، وينادون بالعمل على صياغة أساليب لإنهاء حالة التشرذم، والسعي إلى درجة التكامل والانتماء إلى الدولة الأم من ناحية، والعالم الكبير الذي يشعرون بأنهم أصبحوا غرباء فيه من ناحية أخرى ص18.

إن طغيان العولمة، واحتكارات الشركات الدولية، إنما يزيد العالم خاصة في الدول النامية فقراً وطغياناً، وجوعاً وخضوعاً للسياسات الرأسمالية، فأخذت تستنفر جهودها للدفاع عن حقوقها في مواجهة العولمة [الرقب، 2000، 13] وما نسمعه ونشاهده اليوم من حروب طاحنة، وإرهاب لا ينقطع، واستعمار بكافة أنواعه، إنما هو يؤثر على الطبيعة الإنسانية تأثيراً بالغاً إن ما يروج إليه اليوم من قيم، ومثل أصبحت شعارات زائفة، فليس للإنسان حقوق طالما الهدف مادي، ولا للديمقراطية مكان طالما البلاد تحتل من قبل دول لا ترقب في إنسان إلاّ ولا ذمة ولا ضمير.

فالكرامات تداس بأحذية جنود المستعمر، والأعراض تغتصب في سجون الغازي، والأموال تصادر على أيدي مرتزقة، وخيرات البلاد تسرق، وتعقد الاتفاقات، والابتزازات بأيدي أهل البلاد الأصليين، وتعين تلك الدول المشرعة للدولة [الرئيس أو الملك أو الأمير أو الوزير... إلخ]ليعملوا على تنفيذ أغراضها، وغاياتها في الدول النامية، وحينما تشعر أنه أصبح ضعيفاً لا يحقق غاياتها، ومآربها استبدلته بغيره، وما العراق، وفلسطين، وأفغانستان ...إلخ منا ببعيد، وما يحدث فيها ليس بغريب إن الدول التي جاءت هذه البلاد خالفت ما كانت تدعيه، وتزعمه فلا ديمقراطية ولا حقوق إنسان، إنما هي مصلحة مادية بحتة.

إنها تنطوي على نزعات شريرة تجعل الإنسان يتشاءم من وجوده، ومن مستقبله تذهب بالإنسانية عن مسارها الصحيح، وتعطل الفطرة التي فطر الناس عليها، فهذه الفلسفة صادرة عن أناس طبيعتهم شريرة، وأهدافهم خبيثة يريدون أن يبيدوا العالم بأسلحتهم الفتاكة، وبعقولهم الماكرة.

الخلاصة:

وبناءً على ما تقدم ذكره من انعكاسات للفلسفات، فإنه يتوجب علينا أن نتعامل مع أي فلسفة دون انبهار بآلياتها، وجمال كلماتها، ومصطلحاتها ودون اندماج في عمقها قبل فهمها فهماً صحيحاً، ومعرفة غاياتها، ومقاصدها وأهدافها البارزة، والمستترة.

7. رأي التربية الإسلامية في الطبيعة الإنسانية (الفطرة).

أن غياب الفلسفة التربوية المنبثقة عن عقيدة أمتنا أدى إلى اضطراب الفكر التربوية في بلادنا العربية والإسلامية، وقد انعكس ذلك على الآتي:

1. إن المعلم يمر بأزمة حادة في عملية إعداده لأن كتب الفلسفة المتداولة في البلاد العربية والإسلامية تستمد أفكارها الرئيسية، وتعالج موضوعاتها من وجهة نظر غربية صرفة مقتبسة من آراء المربيين الغربيين من أمثال: أفلاطون وأرسطو وجون لوك، وجون ديوي... إلخ؛ ولا تجد بين هؤلاء مربياً مسلماً يستأنس برأيه في هذا المجال، وهذا ينعكس سلباً على طلابنا لأنهم سيعتقدون بأن هناك فقراً فكرياً، وتربوياً في تراثنا في هذا الميدان. [حاج توم، 1992، ص27]

2. يتأثر الإنسان بما يقرأه ويسمعه، فإن كان كثير من فلاسفة الغرب يعتقدون بأن الإنسان شرير بطبعه، فإن هذا الأمر لا يولد في نفوس أفراد المجتمع المسلم سرى الحقد والإرهاب والعنف والخيانة، ويزيد من ارتكاب الجرائم لأنهم يتربون على فلسفة، وتجعل من الشر أصلاً لطبيعة الإنسان، وسجيته وفطرته.

إن هذا المفهوم لطبيعة الإنسان خطير إذ يعرض طلابنا إلى تبعية فكرية في مجال التربية ويعرض عقيدتهم الإسلامية إلى الخطر التي تحمله بعض النظريات الداعية إلى الشر كنظرية داروين وفرويد وغيرهما...] والإنسان في الإسلام كائن متميز سيد في هذه الأرض، ومع أن الإنسان مكون من جسم وروح وعقل، ونفس فإنه كل موحد، وهو خير بطبعه لأن كل طفل يولد على الفطرة، والناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ (سورة النساء، أية رقم 1) وهذا يدل على أن التربية لا تستطيع أن تتجاهل كرامة الإنسان، أو تحط من قدرها، ويجب المحافظة على حياة كل فرد لا يتسبب في الفساد، والقتل [عبد الله 1992، 503].

من خلال هذه التصورات، والآراء التي تتسم بالجهل، والقصور البشري تبرز لنا بوضوح نظرة الإسلام للطبيعة الإنسانية بما فيها من شمول، وتكامل واتزان لأن الله تعالى خلقها، وهو أعلم بخصائصها ومكونتها، وطبيعتها قال تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (سورة الملك،أية رقم 14) تعتمد التربية الإسلامية أصولها الثقافية، والفكرية على الكتاب والسنة، واجتهادات الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان في استنباط الأسس، والمبادئ لإعداد الإنسان المؤمن للحياة، وقد تربى عليها العلماء، والمفكرون المسلمون الأوائل، ونقلوها إلى الأجيال جيلاً بعد جيل.

ومن خصائص التربية الإسلامية أنها: تربية شاملة متكاملة متوازنة تعنى بجميع جوانب الكائن الإنساني، كما أنها تتفق مع فطرة الإنسان، وتتعامل معه بواقعية، فهي تجمع بين مطالبه (الجسدية والروحية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية).

من خلال التصورات، والآراء للطبيعة الإنسانية، كما خلقها الله تعالى يستطيع المخططون تحديد الأهداف العامة والخاصة للتعليم بمراحله المختلفة، وفقاً للمنهج التربوي الإسلامي.

تتفق التربية الإسلامية مع وجهة النظر الأولى في أن الإنسان مجبول على الخير مفطور عليه قال تعالى: في حديث قدسي [وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم] صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وصحيح ابن حبان كتاب الرقائق باب الخوف والتقوى حديث رقم 653، الدر المنثور للسيوطى 26 / 2 والمعجم الكبير للطبراني 17 / 360. وقال [كل مولود يولد على الفطرة] فالشر يحدث للإنسان من سوء التربية والتوجيه، ومن اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء، وتتبع خطوات الشيطان عن دراستنا لطبيعة الإنسان هي معيار مهم نقيس به صلاح النظم التربوية، والمناهج أو فسادها.

والله عز وجل خلق الإنسان لعبادته قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (سورة الذاريات، أية رقم 56) فكيف يخلق لعبادته نفساً شريرة لا تتناسب وعبادته، أو نفساً محايدة بين الخير والشر تعبده أحياناً، وتتمرد على عبادته حيناً آخر، فلذلك إن عبادته تقتضي أن يكون المخلوق سوياً [إدريس 1982، 68]

إن الطبيعة الإنسانية في الإسلام مزدوجة في تكوينها المبدئي [مادة وروح معاً، ولهذا نجد فيها دوافع فطرية بعضها مادي حسي وبعضها روحي معنوي ويقول: ابن الجوزي إن من يراعي طبائع، وميول البشر، ويستطيع أن يشبع حاجاتها الأساسية دون إفراط أو تفريط، ومجانية إغراء الشيطان وتضليلاته، كما يستطيع قيادة النفس البشرية بعقلية حكيمة [ابن الجوزي، د– ت 96]

بعد أن تناولنا في السطور السابقة آراء المفكرين التربويين الغربيين، والمسلمين عن الطبيعة الإنسانية، وهنا يجدر بنا أن نبين ما ورد عنها في أصول التربية الإسلامية إن الطبيعة الإنسانية تأتي في كتاب الله وسنة رسوله بمعنى الفطرة التي تطلق، ويراد بها [الجبلة الخلق، الطبع، الدين، الإسلام، ومعان أخرى]

روى الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي والحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والطيب والخبيث، وبين ذلك] صحيح الترمذى مسند أبى داود 4693 مسند الامام أحمد 400 / 4 قال الترمذي حديث حسن صحيح قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ (سورة الجاثية، أية رقم 23).

هذه الآية تبين أوصاف الأربعة لمن اختار الشر ضرباً له وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إن الله خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل، مسند الامام أحمد 176 / 2، 197 كنز العمال 582، 1314 فأعمال هؤلاء الأشرار ليس لها قيمة حقيقية بل هي أعمال ظاهرية، ونتيجتها عكسية لأنها لم يقصد بها وجه الله تعالى.

قال تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (سورة فاطر، أية رقم 32)

قال الحسن البصري: الظالم ظاهره خير من باطنه، والمقتصد ظاهره وباطنه سيان والسابق باطنه خير من ظاهره [بهنسي، 1987، 107]

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله

عنه قال: صلى بنا رسول الله يوماً صلاة العصر ثم قام خطيباً، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وكان فيما قال:

ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ومنهم: من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً، ومنهم: حسن القضاء حسن الطلب، ذكره حماد بن زيد بن سلمه فى مسند الترمذي 2191، مسند الامام أ؛مد 19 / 3.

ألا وإن منهم البطيء الغضب، سريع الفيء، ومنهم: سريع الغضي سريع الفيء، فتلك بتلك. ألا إن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء.

ألا وإن منهم: حسن القضاء، حسن الطلب، ومنهم: سيء القضاء، حسن الطلب فتلك بتلك ألا، وإن منهم: السيء القضاء، السيء الطلب، ومنهم: حسن القضاء سيء الطلب، فتلك بتلك.

ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب ألا وشرهم سيء القضاء سيء الطلب ألا، وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه.

فمن أحسن بشيء من ذلك فليلصق بالأرض، قال: أبو سعيد، وجعلنا نلتفت إلى الشمس (س.)هل بقي منها شيء؟ فقال: [ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها: إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه سنن الترمذي حديث 2191، و اتحاف السادة المتقين للزبيدي 111 / 8، 254 / 10.

يبين لنا القرآن والسنة الطبيعة (الفطرة) الإنسانية أن من الناس مَنْ طبع على الخير المحض، ومنهم: من جبل على الشر البحت، وبين ذلك ضروب لا يحصيها إلا علام الغيوب، ومنهم: من جبل على الأمرين، وهو إلى الخير أميل، وبه ألصق، وأمثل ومنهم: من جبل على الأمرين، وهو إلى الشر أقرب، وبه أشبه وأنسب، ومنهم: من عنده الأمران مستويان.

كما تدل الآيات، والأحاديث النبوية على أن المرء قبل أن يولد يقدر عمله، ورزقه وأجله وسعادته أو شقاؤه، وأن السعادة والشقاوة منوطة بذلك العمل الذي قدر له، فمن كتبت له السعادة هيأت له أسبابها، ويسرت له الأعمال التي تؤهله لها، والعكس صحيح [بهنسي 1987، 51] قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ (سورة الليل، أرقام الآيات 5 – 10.(

وليس معنى هذا كما يظن البعض، ويتوهم أن معنى القضاء والقدر إجبار، وقهر للعبد على فعل ما قضاه الله وقدره.

فإن القدر: هو علم الله بما سيكون من أفعال العباد في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة أرادها ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (سورة غافر، أيه رقم 19).

والقضاء: إيجاد هذه الأفعال، وخلقها على حسب علم الله، وإرادته السابقة خيراً كانت تلك الأفعال أو شراً، فالقدر علم سابق، والقضاء إيجاد لاحق، وهما: متلازمان لا ينفكان عن بعضهما.

ولا نريد أن نخوض في مسائل القضاء والقدر لأن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل، ولكن لما سئل رسول الله [أفلا نتكل على كتابنا؟] فأجابهم عليه الصلاة والسلام [اعملوا فكل مُيسر لما خلق له] كتاب شرح العقيدة الطحاوية 375 / 1 روى الحديث الإمام مسلم في صحيحة عن سهل بن سعد الساعوى رضي الله عنه، وعن أبي هريرة رضي الله قال: صلى الله عليه وسلم [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص

على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قَدَّر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان] رواه الإمام مسلم في صحيحة كتاب القدر، و الإمام احمد في مسنده 82،140 / 1 وصحيح البخاري 211 / 6 ، 59 / 8 .

من الناس إما مفطورٌ على الخير، وهم قليل قال تعالى: [وقليل من عبادي الشكور] (سورة سبأ، آية رقم 13) وهم متفاوتون فيه وهم طبقات [المقربون، أصحاب اليمين] ومنهم: المفطور على الشر جبلوا على الكفر والنفاق والطغيان لا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين كذب وصدق، قست قلوبهم فلا تنشرح لخير وفسدت سرائرهم، ومرضت ضمائرهم.

ولما كان الشر لهم فطرة وطبع ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً قال تعالى: [وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون] (سورة التوبة، آية رقم 93) وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: [ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما نتج البيهمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء] رواه الإمام مسلم في صحيحة البخاري 18 / 2 ومسلم كتابه القدر 22، والبيهيقي في مسنده 202 / 6ثم يقول أبو هريرة :[واقرؤوا إن شئتم [فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم] فالفطرة هنا بمعنى السجية والخلقة والجبلة والطبيعة.

ولقد اختلف المفكرون في نظراتهم إلى طبيعة الإنسان، ومكوناتها حيث نظروا إليها من زوايا متعددة

فمنهم من رأى: أن الطبيعة الإنسانية تتكون من عقل وجسم، ولكل منهما: خصائصه ووظائفه، والعقل يسمو على الجسم، ويسيطر عليه ويوجهه، ويحد من شهواته.. وعلى التربية أن تسمو بالعقل، وأن العقل سمة مشتركة لجميع الأفراد في جميع الأزمنة، والعصور، ومن ثم فإن التربية واحدة في جميع المجتمعات إذ تؤكد على الصفة العقلية المشتركة للطبيعة الإنسانية.

– وهناك من نادى بأن: الطبيعة الإنسانية تختلف باختلاف الأفراد أنفسهم وباختلاف استعداداتهم وقدراتهم لذلك فإن: المكون البيولوجي للإنسان هو الأساس في فهم الطبيعة الإنسانية.

– وهناك من يعتقد أن طبيعة الإنسان لا تتحرك دون حافز، ولا تعمل دون دافع [سرحان، 1981، ص458].

– واختلف المفكرون حول طبيعة الإنسان فطرته الخيرة، والشريرة وتعددت وجهات النظر فيها، فمنهم من قال: أن الخير هو أصل الإنسان، والشر طارئ عليه (كسقراط) ومنهم من نظر إلى: الإنسان نظرة تشاؤمية فيرون أن: الإنسان شرير بطبعه (كفرويد)، ومنهم من مال إلى: أن بعض الناس خيرون في طبائعهم والبعض الآخر شريرون (كجالينوس) وآخرون يرون أنه يحتوي على الجانبين الخير والشر (كأفلاطون). ومنهم من يرى: أن الإنسان في طبيعته ليس خيراً، ولا شريراً، فالتربية هما وظروف البيئة هي الأساس.

إن محاولة الحفر في الفكر الإسلامي المتمثل في آراء علماء المسلمين، واستخلاص تعبير تربوي بهذه الرؤية الفلسفية للطبيعة الإنسانية لعلها تسهم في السعي المشترك لإقامة حوار بين الأمم والجماعات البشرية المختلفة، وتعزيز تربية أخلاقية، وتصور إنساني يرد للفرد اعتباره، وماهيته المفقودة وخاصة العدوان الغربي، الأمريكي خصوصاً على القضاء الإسلامي والعربي وإلصاق تهم الإرهاب، والتعصب والتخلف به. [خضر، 2003، 14].

ولقد مثل موضوع الفطرة [الطبيعة الإنسانية] للمفكرين، وللفلاسفة الغرب والمسلمين إشكالية

وذلك لتداخل، وتباين آرائهم وفقاً لمعتقداتهم واتجاهاتهم.

كما اختلف المفكرون حول مدى قبول هذه الطبيعة للتغيير، والتعديل عن طريق التربية، فقد نادى البعض بأن: الطبيعة الإنسانية ثابتة لا يمكن للعربية تعديلها، أو تغييرها، بينما يرى الاتجاه الثاني أنه: من الممكن تغييرها وفق استعداد طبيعة الإنسان، ومن أصحاب هذا الاتجاه (أرسطو والغزالي. أما جالينوس) إنه من الناس ما يمكن للتربية تغيير أخلاقه، ومنهم: ما لا يمكن لها أما أصحاب الاتجاه الرابع أن المربي، والمجتمع يمكنهما تغيير التشكيل حسبما أرادا، أي أن هذا يعود إلى عاملي الوراثة والبيئة [حوالة، 2000، 275] إن اختلاف العلماء، والفلاسفة له آثاره على العملية التربوية إذ يترتب على كل تصور لطبيعة الإنسان تطبيقات تربوية تلائمه مما أوقع هذا الاختلاف المهتمين بهذا الموضوع في حيرة من أمرهم، وبدؤوا يتساءلون عن الأرجح، والذي يجانب الصواب

أحوال النفس الإنسانية (لوامة ، أمارة ، مطمئنة)

وفى مضمار الحديث عن الخير والشر يلزمنا الحديث عم أحوال النفس الإنسانية، وطبيعتها لبيان الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهى ثلاثة أحوال [أمارة ، لوامة ، مطمئنة] قال تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (سورة القيامة، رقم الآية 2).

قال الحسن البصري: أن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً، يقول: ما أردت بهذا ولم فعلت هذا وكان غير هذا أولى، ونحو هذا من الكلام.

وقول ابن القيم: وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة، واحتملت ملام اللائمين في مراضاته، فلا تأخذها فيه لومه لائم.

أما الحال الثاني للنفس الإنسانية: فهي النفس الأمارة قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز [وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم] (سورة يوسف، رقم الآية 53).

وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم خطبة الحاجة فيقول [الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هدى له]

وقول ابن القيم: فالشر في النفس كامن وهو يوجب سيئات الأعمال فان خلى الله بين العبد، وبين نفسه هلك بين شرها، وما تقتضيه من سيئات الأعمال فإن وفقه وأعانه تجاه من ذلك كله.

أما الحال الثالثة للنفس الإنسانية: فهي النفس المطمئنة قال تعالى: ﴿يأيتها النفس المطمئنة أرجعى الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي﴾ (سورة البلد، أرقام الآيات 27 ،28، 29،30) ومهمة النفس المطمئنة تخليص الأعمال كلها من الشيطان، ومن الإمارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغي لنجا به العبد، ولكن أبت الأمارة، والشيطان أن يدعا لها عملاً واحداً يصل الى الله.

قال عبد الله بن عمر: لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة واحده لم يكن غائب أحب إلى من الموت أنما يتقبل الله من المتقين [ابن القيم 1999، 301 ، 304] فالنفس تارة تكون أمارة، وتارة تكون لوامة، وتارة مطمئنة، ويتكرر منها هذا منها في الموضوع الواحد فهي أما تلوم صاحبها على فعل الخير أو الشر أو تأمره بأحدهما، أو تكون مطمئنة بفعلها لأنها راضية لربها مأتمرة بأمره متقية الله في كل أحوالها.

وقد وجد الباحث في نفسه المقدرة على جمع بعض الآراء محاولة منه لإجلاء الحقيقة، وقد ختمت بحثي برأي الإسلام في هذه القضية التربوية العقدية في المقام الأول، وثم تطرقت الى وجهة نظر الفلسفات المختلفة حول هذا الموضوع، وبيان الانعكاسات التربوية لكل فلسفة على حدة، وخلصت الى هذه التوصيات.

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض لآراء المفكرين الغرب، والمسلمين حول جدلية الخير والشر، فلا بد للإنسان أن يجتهد في عمل الخير وتزكية النفس قال تعالى: [ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها] (سورة الشمس ،أرقام الآيتان 7، 8).

فعل الخير كله يحصل بتوفيق المولى عزوجل.

وهذا يؤدي الى شرف النفس، ونبلها وكبرها عن الله، وعند الناس أجمعين قال تعالى:[قد أفلح من زكاها] (سورة الشمس، رقم الآية 9).

أما أصل الشر فهو يؤدى الى الخسة والوضاعة والصغر أمام الله والخلق أجمعين [وقد خاب من دساها] (سورة الشمس رقم الآية 10).

إذا فإن النفس الإنسانية الخيرة لا ترضى من الأشياء إلا أفضلها، وأعلاها فتراها حمدة لربها محمودة من غيرها، لا ترضى بالظلم، ولا ترتكب الفواحش، ولا تخوض في المحرمات.

أما النفس الإنسانية الشريرة: فهي التي ترضى بالدناءات وتقع في المحرمات والمبيعات وترتكب الفواحش تتنقل بين الخسة والوضاعة.

لذلك فإن كل نفس تميل الى ما يناسبها ويشاركها قال تعالى: [قل كل يعمل على شاكلته] (سورة الإسراء، رقم الآية 8) أي كل يعمل على طريقته التي تتناسب مع أخلاقه وطبيعته أو جبلته.

التوصيات والمقترحات

– ضرورة تعريف المربي بخبايا الطبيعة الإنسانية، وما فيها من دوافع وميول، وانفعالات، وعواطف حتى يستطيع توجيهها بحكمة، وعلم وخبرة لأن من يفهم ماهية الطبيعة الإنسانية يستطيع أن يوجهها ويخاطبها.

– تعميم هذه الحقائق لمن يريد أن يطرق باب التربية لأن في هذا فائدة لوضع الاسس والركائز لبناء المناهج، ووضع الفلسفات، والسياسات التعليمية.

– ضرورة تكثيف الدراسات الجادة حول فكر العلماء المسلمين من منطلق الحاجة الماسة إلى تأصيل فكرنا التربوي المعاصر، وجعله فكراً تربوياً يتفاعل معه الناس، ويقبلونه كجزء أصيل من حياتهم وثقافتهم وتفكيرهم.

– توجيه النظام التربوي التعليمي، وتوجيهه توجيهّا إسلامياً صحيحاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومواجهة كل ذلك بالفكر والعمل، والتخطيط السليم، وتقويم مسيرة الفكر التربوي الإسلامي المعاصر بحيث يسهم في نهضة هذه الأمة، ويبعثها من جديد.

– أن تعطي مصادر التربية الإسلامية المكانة الأولى، والدور الأكبر في قيادة البحوث التربوية، وتوجيهها، وأن تتضافر جهود المفكرين، وقادة الرأي والمربين بالكشف عن الطبيعة الإنسانية في الفكر التربوي الإسلامي مع الاستفادة القصوى من معطيات الحضارة المعاصرة، ومنجزاتها بما لا يتعارض مع أصولنا، والتحرر من دائرة التبعية والتقليد.

الهوامش:

1. حكيم إغريفي في القرن الخامس قبل الميلاد عمل جندياً ثم سياسياً اشتهر بالحكمة حقد عليه علماء عصره ووصفوه بالزندقة وإفساد عقول النشء فأعدم 399 ق.م

2. من الرواقية مأخوذ من العُرش وهو مكان مظلل والرواقيون جماعة من الفلاسفة يؤمن بأن الأمور يمكن تفسيرها على نحو يريح النفوس على هوى من أنفسهم واطلق عليهم هذا الاسم لانهم كانوا يتخذون الاروقة مكاناً لتلقي الدروس فيها.

3. ولد في جنيف لأبوين فرنسيين 1712 من علماء التربية توفي عام 1778م

4. أول من مثل المدرسة الانجليزية فى علم النفس التى حاولت أن ترجع مضمون الفكر الى الخبرة الحسية فى مقابل الافكار الباطنة هو زعيم مدرسة الشك.

5. فيلسوف يوناني اشتهر بالحكمة وهو من تلاميذ سقراط صاحب كتاب الجمهورية الفاضلة توفي 327ق.م

6. فيلسوف مصري من أسرة رومانية اعتمد في نظرياته على فلسفة أفلاطون وتوفي 262 ق.م

7. فرويد سجموند ولد فى النمسا ويعد مؤسس مدرسة التحليل النفسي.

8. داروين: من علماء علم الأحياء صاحب نظرية النشوً والتطور.

9. فرقه مسيحية تنسب الى اليسوع (المسيح عليه السلام).

10. مسيحية تؤيد يونس عليه السلام وتنسب نفسها اليه.

11. توماس هوبز:فيلسوف سياسي من علماء المدرسة الانجليزية في علم النفس التي حاولت أن ترجع مضمون الفكر الى الخبرة الحسية ومن أهم أعماله كتابة الطبيعة الإنسانية.

12. بنتام فيلسوف بريطاني من زعماء مذهب الاتجاه الخلقي يرى الإنسان يقيم علاقاته وفق مبدأ اللذة والمنفعة.

13. فيلسوف يوناني كبير الأطباء في عصره وكان بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي عام.

14. أرسطو: فيلسوف اغريقي من مؤسسي علم النفس وعلم الحيوان.

15. جون لوك: من علماء التربية وعلم النفس اهتم بدراسة الشعور والتحليل الاستنباطي.

16. دافيد هارتلي: مؤسس علم النفس الارتباطي من زعماء المدرسة البريطانية له كتاب ملاحظات عن الإنسان.

17. كانت : فيلسوف ألماني اشتغل بالحكمة والرياضيات والطبيعيات و توفي 1804

18. سبنسر: من أنصار الالتزام الخلقي وله أبحاث فى التنشئة الاجتماعية والقانون والانسان.

19. وليام مكدوجال: ولد فى انجلترا 1871م صاحب نظرية الكف العصبي بالاخراج وكذلك مذهب القصد أو علم النفس .

20. بافلوف ولد عام 1849 صاحب فكرة الأفعال المنعكسة الشرطية.

21. جون واطسن :من علماء المدرسة السلوكية تولى تحرير مجلة سلوك الحيوان ومجلة علم النفس التجريبي 1917.

22. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي الحنبلي توفي [597-1201م]

23. علي بن محمد بن العباس 414 هـ ، 1023م أديباً متقناً فى جميع العلوم وهو شيخ الصوفية فيلسوف تحدث عن الطبيعة الانسانية

24. مسكوية : (421هـ) أبو علي محمد بن يعقوب واستهواه علم الكيمياء والطب والفلسفة ركز على الاجتماعي يربط بين الثقافة اليونانية و الإسلامية ومن أقواله الإنسان ابن مجتمعه.

25. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبون بن فزارة الكناني... لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه وبروزهما

26. أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي المعروف بالخطيب البغدادي نسبة إلى مهنة أبيه من قرية درزيجان العراقية

27. محمود بن أبي بكر بن أيوب... شمس الدين أبو عبد الله ،ابن قيم الجوزيه نسبة إلى المدرسة الجوزية التي كان والده قيماً عليها في دمشق

28. محي الدين محمد الحاتمي الشهير بابن العربي صاحب فكرة وحدة الوجود

29. جون بول سارتر: عالم فرنسي عاصر الحرب العالمية الثانية أكد على ضرورة مشاركة المفكر للجماهير يقودهم.

30. جون دوي: ولد عام 1859 رائد مدرسة علم النفس الوظيفي في شيكاغو من أبرز إهتمامته الروابط والإحساس والاستجابة.

31. أفلاطون: فيلسوف إغريقي صاحب كتاب الجمهورية.

32. كارل ماركس: يهودي العقيدة ألماني الجنسية صاحب كتاب رأس المال ومؤسس المذهب الاشتراكي..

33. لينين: زعيم الثورة البلشيفية 197 من كتبه مختارات لينين.

34. فرنديك أنجلز: ألماني من زعماء المذهب الاشتراكي.

35. جورج مور: فيلسوف بريطاني معاصر دافع عن نظريات الفطرة السليمة والعولمة.

36. بروباكر: من أبرز زعماء الذين نادوا بالعولمة والثقافة القطبية.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم بالرسوم العثماني، السحار للطباعة، القاهرة،2003م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدونج 3 مكتبة لبنان–بيروت، (1992).
3. ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط3 مكتبة الحياة، (1986).
4. ابن قيم الجوزيه محمد بن أبي بكر شمس الدين (د– ت) طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار الكتاب العربي، بيروت.
5. ابن قيم الجوزية محمد بن ابي بكر شمس الدين،الروح دار آفاق للنشر، فلسطين، (1999).
6. ابن الجوزي (د– ت)، صيد الخاطر، المكتبة العلمية، بيروت
7. أبو العينين، علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ط3 مكتبة الحلبي، المدينة المنورة، (1988).
8. إدريس، جعفر شيخ، التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية مجلة المسلم المعاصر، العدد 12 ص61: 80، (1982).
9. بدر أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه ط4 الكويت، وكالة المطبوعات، (1978).
10. بهنسي، محمد عبد الرؤوف، الإسلام ونزعة الفطرة ط2 ،مؤسسة الخليج العربي القاهرة، (1987).
11. الجمالي محمد فاضل، تربية الإنسان الجديد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (1967) .
12. جورج، كارنتس، التعليم في الاتحاد السوفيتي، ترجمة، محمد بدران مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (1957).
13. الجندي، أنور، التربية وبناء الأجيال في ضوء

الإسلام دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1982).

14. جون ديوي، الديمقراطية والتربية ترجمة منى عقراوي، وزكريا ميخائيل، ط2 مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، (1966).

15. الجعبري، حافظ محمود حيدر، الفطرة والعقيدة الاسلامية، ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، (1979).

16. الحاج توم، بشير، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم، مركز البحوث التربوية والنفسية (13) جامعة أم القرى مكة المكرمة، (1992).

17. حاج توم، بشير، مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة مجلد(1) جامعة اليرموك الاردن ص 317،ص348، (1991).

18. حجاجي، حسن علي، الفكر التربوي عند ابن قيم الجوزيه دكتوراة منشورة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض دار حافظ، (1988).

19. حوالة، سهير محمد أحمد، المضامين التربوية في كتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه دراسة تحليلية، جامعة عين شمس، مجلة كلية التربية، العدد الرابع والعشرون مكتبة زهراء الشرق، (2002).

20. خضر، محسن، النزعة الإنسانية في الفكر التربوي الإسلامي عند أبي حيان التوحيدي، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس العدد السابع والعشرون ، ص11، 31، (2003م).

21. راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ط12، المكتب المصري الحديث، القاهرة، (1990).

22. رضا، محمد جواد، فلسفة التربية وأثرها في تفكير معلمي المستقبل دراسة تجريبية، جامعة الكويت العدد 13 المطبعة الأميرية الكويت ص71: 92، (1972).

23. الرقب صالح، العولة نشأتها. وأهدافها وسائلها ط1 مكتب، الامل التجاري، فلسطين، غزة، (2000).

24. سرحان، منير مرسي، في اجتماعيات التربية ،ط3 ،دار النهضة بيروت، (1981).

25. ساري، حلمي، محمد حسن، علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، (2000م).

26. الشهري، ظافر بن سعيد،نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (1997).

27. عبد الله، عبد الرحمن صالح، النظرية العامة للتربية رؤية إسلامية مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، مجلد (1) جامعة اليرموك الأردن، ص490، 518، (1991).

28. عبد الله، عبد الرحمن صالح، وحلمي فودة، المرشد في كتابة البحوث التربوية ط2 ،مكتبة المنارة مكة المكرمة، (1988م).

29. عبد الكافي،إسماعيل، الفطرة وقيمة العمل في الإسلام سلسلة دعوة الحق، عدد(94) رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة، (1989).

30. العجمي أبواليزيد، حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم سلسلة دعوة الحق العدد(22) رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، (1983).

31. عفيفي، محمد الهادي (د– ت) في أصول التربية [الأصول الثقافية للتربية مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

32. فنكس، فيليب، فلسفة التربية، ترجمة، محمد لبيب النجيح، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة، (1987).

33. القرضاوي، يوسف، ، الإيمان والحياة، الدار السعودية، الرياض، (1978).

34. القزاز، محمد سعد، الفكر التربوي في كتابات

الجاحظ، ماجستير منشورة كلية التربية جامعة عين شمس، دار الفكر العربي القاهرة، (1995).

35. محمود، عبد الحليم، المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1979).

36. معلوم، سالك أحمد، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي ماجستير منشورة كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة المطبعة المحمدية، (1992).

37. المهدي، سوزان محمد، الأفكار التربوية المستنبطة في كتابات ابن الجوزي مجلة كلية التربية جامعة عين شمس العدد (26) جـ3 ص–260 279، (2002).

38. مرسي، محمد يوسف، فلسفة الأخلاق في وصلاتها بالفلسفات الإغريقية ط3، مؤسسة الخانجي، القاهرة، (1963).

39. النوري، عبد الغني وزميله، نحو فلسفة عربية للتربية، دار الفكر العربي القاهرة، (1976).

40. الهاشمي، عبد الحميد محمد، أصول علم النفس العام، دار الشروق، جدة، (1984).

41. الهلالي الشربيني الهلالي، الاتجاه المحافظ والاتجاه التقدمي في التربية وجذورهما في الفكر التربوي عند جون ديوي دراسة تحليلية مجلة كلية التربية جامعة عين شمس العدد (24) جـ4 ص39: 82، (2000م).

42. ودورث، روبرت، مدارس علم النفس المعاصرة، ترجمة كمال دسوقي دار النهضة العربية بيروت، (1981).